المحاضرة الثالثة:

إرهاصات التّجديد في النّقد الحديث:

يُعدّ التجديد في الشّعر والنّقد مرحلة تالية في تصوّر الإنسان الغربي الحديث، بعدما أثبتت النّماذج الشعرية المقلِّدة عدم جدواها في عصر صار يفرضُ جديدًا لا يُمكن العيش فيه بعقلية محافظة مختلفة عن أحداثها، فكانت كلّ الظروف مهيّأةٌ للتّغيير والتّجديد والاختلاف عن التقاليد السائدة.

التّجديد أضحى ضرورة:

إنّ أولى إرهاصات التجديد في النّقد العربي الحديث هو الانتقال من الكتابة على منوال القدامى إلى ضرورة الاطّلاع على ثقافة الغرب والآخر الذّي أصبح يتفوّق وبجدارة على العالم الغربي. ومن الأمور التّي أسهمت في ذلك "المقالات" التّي كانت تنشر الوعي بضرورة الانفتاح على الآخر، وذلك في الربع الأخير من القرن 19، بأقلام: "يعقوب صروف" و"قسطاكي الحمصي"، "نجيب حداد"، "إبراهيم اليازجي" وغيرهم.

كما تُعَدُّ "التَّرجمة" من العوامل التي ساعدت في الانفتاح على الغرب، ضف إلى ذلك "الهجرة"، فنجد "خليل مطران" الذي هاجر إلى فرنسا واتَّصل بالأدب الغربي مباشرة عن طريق اللّغة الفرنسية، ثمّ عاد إلى مصر حيث اتّصل فيها بالحياة الفكرية وعَقَدَ صداقات حميمة مع أدباء ذلك الزمن.

أهمّ رواد التّجديد في العالم العربي:

1 – خليل مطران:

يُعدّ "خليل مطران" زعيما للتجديد في العالم العربي، وكانت كتابات المجدّدين تُرجِعُ له الفضل دائمًا في إرساء معالم التجديد في العالم العربي، في مقابل هذا، هناك من النقّاد من أنكر عنه الريادة خاصة أولئك الذّين يعودون للنّقد الإنجليزي وليس الفرنسي. وهناك من يُنكر عنه لقب الرّيادة في التّجديد من خلال استحضارِ القصائد التِّي كتبها، والتّي لا تَخْلو بدورها من التقليد، ولكنّ "مطران" ردّ على الرّأي الأخير بقوله: " إنّه كان يعتمد الجمع بين التقليد والتّجديد حفاظًا على انتمائه". وهكذا يضع "مطران" النّقاط على الحروف فيما يتعلّق بمذهبه في الشّعر، من مجاراةٍ للقديم ومحاولات حذرة للتجديد.

2 – طه حسين:

لقد جمع "طه حسين" في الآن ذاته بين التسلّح بالعلوم العربية (وهي مبدأ الهوية) وبين ضرورة الأخذ عن العالم الغربي. وقد جاء في كتابه (حديث الأربعاء) ليؤكدّ فيه على ضرورة تمرّد النّاقد على التبعية، والميل في التذوّق والمقارنة، من خلال إتقانه لعلوم اللّغة والبيان و التاريخ ومناهج البحث؛ حيث لا بدّ للنّاقد ــ في نظره ــ أن يعتمد على الحسّ الدّقيق المرهف، والذّوق المهذّب (المسمّى بـ: شخصية النّاقد) فيما يقدّم من دراسةٍ وفيما يصوّر من مواطن الجمال في الآثار الأدبية، فتكون العملية النّقدية في رأي "طه حسين" عملاً مختلفًا عن الوظيفة التقليدية للنّاقد القديم، وإن تعلّق الأمر بالقصائد القديمة.

3 ــعبد الرحمان شكري:

على الرّغم من أنّ آراءه التجديدية كانت سديدة إلاّ أنّهُ لم يُؤلّف نظرية كما فعل النقاد الآخرون، بل كانت آراءه متناثرة هنا وهناك في مقدّمات دواوينه.

وبخصوص رأيه في الشعر والشّعراء، فقد دعا إلى (الذاتية وتخليص الشّعر من الصّخب، الوحدة العضوية في القصيدة، فهي مثل التّمثال الذّي يُكمِل كلّ جزءٍ فيه سائر الأجزاء. التحرّر من القافية: بتنويعها أو التحرّر منها نهائيا. العناية بالمعنى و إدخال الأفكار الفلسفية و التأمّل في السّكون كلّه و الإنسانية. تصوير لبّ الأشياء وجوهرها، تصوير الطّبيعة والغوص إلى ماوراء ظواهرها، التقاط الأشياء البسيطة العابرة والتعبير عنها تعبيرًا فنيا جماليا).

هذا بالنّسبة للشّعر، أما بالنّسبة لرأيه في الشاعر، فأوّل مانادى به "شكري" هو (أن يكون عند الشاعر ما سمّاه بــ "الشره العقلي" الذّي يجعل الشاعر راغبا في أن يفكرّ كلّ فكر، و أن يُحس كلّ إحساس، وينبغي للشاعر لكي يجيء شعره عظيمًا أن يكتب للعقل البشري ونفس الإنسان أينما كان، ولا يكتب لليوم الذّي يعيش فيه، وإنّما يكتب لكلّ يوم وكلّ دهر).